المقالات

أطفالنا.. والتليفزيون
رؤية نفسية تربوية

د. محمد محمود العطار
دكتوراه الفلسفة في التربية – جامعة كفرالشيخ
جمهورية مصر العربية

مقدمة:

أطفال اليوم هم شباب الغد، ورجال ونساء المستقبل، والذين تعقد عليهم الأمة آمالها وتطلعاتها، وتأتي أهمية مرحلة الطفولة لكونها الأساس الذي يبني عليه الفرد في مستقبله مجالات حياته ومدى صلاحيته ومساهمته كمواطن، فالمجتمع البشري يتحدد ويمتد بقاؤه من خلال ذرية من الأطفال حيث هذه الذرية هي ماضيه وحاضره وتطلعاته نحو المستقبل.

ويعد التليفزيون من أهم وأخطر وسائل الاتصال الجماهيري، كما أصبح التليفزيون بديلاً عن الأم والأب لدى الطفل نتيجة لتعرضه للتليفزيون لساعات طويلة، وأصبح يلقب بالأب الثاني، والأم الثانية، والتليفزيون جزء غير منفصل عن اهتمامات الأطفال اليومية منذ اللحظة التي يبدؤون فيها إدراك العالم من حولهم، فمتى أدرك الطفل تكون أولى اهتماماته بالتليفزيون.

وللتليفزيون تأثيره القوي والمباشر على الطفل، ويعد من أكبر مصادر الخبرة في حياته، حيث إنه يشارك في شتى العمليات التربوية داخل المدرسة وخارجها.

كما يلعب التليفزيون دوراً مهماً في حياة الأطفال وتربيتهم أكثر مما تحدثه أي وسيلة أخرى من الإذاعة المسموعة والقصص المقروءة، فهو مدرسة تربوية وثقافية واجتماعية تأخذ مكان الصدارة في التأثير على الأطفال، بل ويتفوق على غيره من وسائل الاتصال من حيث توصيل المعلومة إلى الطفل حيث إنه يمكن عن طريقه تقديم المعلومات التي يتعسر نقلها إلى الطفل عن طريق الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو الصورة إذا استعمل كل منها بمفردها (الحديدي، 1986).

والأطفال المدمنون على مشاهدة التليفزيون يعانون من مشكلات تتعلق بمستواهم الدراسي، ويميلون إلي العنف في تعاملهم مع رفاقهم، ويجب تنمية حب القراءة في نفوس أطفالنا منذ صغرهم، وعدم السماح لهم بتحكم التليفزيون فيهم طوال الوقت، وتشجيعهم على تنمية وقت الفراغ في اللهو واللعب.

إن التليفزيون بما يقدمه من برامج يستطيع الوصول إلى الأطفال في أعمار مبكرة وبكثافة عالية، فالأطفال من أكثر الفئات العمرية اهتماماً بمشاهدة التليفزيون.

الطفل والتليفزيون:

الطفل كائن حي.. يولد صفحة بيضاء، لديه الاستعداد الكامل للتعلم، واستثمار ما وهبه الله سبحانه من ذكاء وفطنة، ولهذا فإن الطفل إنسان صغير يتدرب اجتماعياً على يد من هم أكبر منه، ويتلقى عنهم الخبرات المختلفة.. والطفل في بداية حياته توجد لديه طاقة ضخمة للتعلم، والتشكل، ومن هنا فإن التأثير يكون سهلاً والتغيير يكون واضحاً.

وتتداخل مرحلة الطفولة مع مرحلة المراهقة، وهى مرحلة تتميز بتقلب الأحاسيس والمشاعر، وقد يستولي على المراهق شعور بعدم الاطمئنان والخوف، وقد يمر بخبرات اجتماعية قاسية تجعله سريع التأثر، وقد يثور على المجتمع، والأسرة، ثم يأتي التليفزيون فيشعل الفتيل..!!.

ومن هنا فإن الطفل إنسان يكون في أمس الحاجة إلى من يفهمه، ويقدر مشاكله، ويساعده على حلها، ويأخذ بيده إلى بر الأمان، بدلاً من الصياح في وجهه، ومقابلة مشاكله بعدم الاكتراث، ومن هنا يهرب الطفل إلى الخيال.. ويستعين بجهاز التليفزيون على ذلك، حيث يرى فيه وسيلة للتنفيس عما عجز عن حله من مشاكل..!.

كما يجب أن نعلم يقيناً أن الظروف المحيطة بالطفل والحاجات التي يحس بها وظروف العائلة، ومستواها الاجتماعي، ودرجة الوعي لدى الأم والأب، وكل هذه الأمور هي التي تقرر كيفية استعماله للتليفزيون، من ثَمّ تقرر النتائج المترتبة على هذا الاستعمال (العنيبسي، 1403 هـ).

ويذكر الباحثون أن أول اتصال بين الطفل والتليفزيون يتم في سن الثانية عندما ينصت مصادفة إلى برنامج يستمع له شخص آخر، ولكن سرعان ما يبدأ باستطلاع عالم التليفزيون، ويكون لنفسه ذوقاً خاصاً بالنسبة للبرامج التي يختارها، حتى إذا بلغ سن الثالثة يستطيع أن يطلب برنامجه المفضل ضمن برامج الأطفال، وهى لون من البرامج لها طابعها الخاص ومحتوياتها من قصص الحيوان والصور المتحركة، والمشاهد التي تتميز بالخيال والحركة السريعة.

ولقد أظهرت نتائج بحث أجرته الجامعة الأمريكية بالقاهرة أن الطفل يقضى في المتوسط 33 ساعة أمام التليفزيون أسبوعياً، أي: بمعدل 4.7 ساعة يومياً، وأن هذا الوقت يزيد عن الوقت الذي يقضيه في اللعب أو المدرسة بل ومع والديه، أو في مذاكرة دروسه بالمنزل ، كما تبين أن متوسط عدد ساعات مشاهدة الأسرة للتليفزيون يومياً يزيد عن ست ساعات مع التوقع للزيادة في المستقبل (إبراهيم ،1989).

ويعد التليفزيون أحد المؤسسات الثقافية المهمة في المجتمع وتهدف برامجه المتنوعة إلى تعديل سلوك مشاهديه على اختلاف أنواعهم من حيث العمر الزمني ومستوى التعليم بينهم وإكسابهم أنماطاً جديدة من السلوك نتيجة لقضاء الساعات الطويلة لمشاهدة هذه البرامج.

والطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يتأثر في فهمه للتليفزيون بالتركيز على الذات، ويدرك شخصيات التليفزيون في اتجاه واحد وهى أنها كلها جيدة أو كلها سيئة بدون وجود أي

موقف وسط. كما أنه غير قادر على إدراك وفهم الأحداث إلا من وجهة نظره الخاصة، وينظر إلى التليفزيون والأشخاص والدمى والكارتون كحقيقة وواقع إضافة إلى أنه لا يستطيع فهم المعاني المجردة، واستنتاج الأسباب، وتتبع سلسلة البرامج أو القصة.

وفي مرحلة الطفولة المتوسطة يستطيع الطفل فهم قصة الفيلم، ومتابعة الأحداث المعروضة، ويقل تركيزه على الذات .

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يصبح قادراً على أن يتصور نفسه مع الآخرين في التليفزيون، وفهم المشاعر والأحاسيس والدوافع لدى أشخاص الفيلم، وما يرمز إليه الفيلم أو البرنامج، ويهتم بالبرامج أو المواد الواقعية التي يمكن أن تكون مفيدة للحياة العملية والمستقبلية (القايدي، 1425هـ).

أهمية التليفزيون:

يكتسب التليفزيون أهمية خاصة بين وسائل الإعلام المختلفة، حيث يتميز بأهمية خاصة في حياة الطفل؛ لأنه جهاز قادر على الترفيه والتثقيف في وقت واحد، ومن ثم يؤثر على عقلية الطفل ووجدانه، ويعتبر أداة مهمة للتعليم المباشر؛ إذ ينقل إلى الطفل المعلومات والمعارف والأخبار المحلية والعالمية ويقدم له الكثير عن عادات وتقاليد الجماعات المختلفة.

وتزداد أهمية التليفزيون في مجال تثقيف الطفل لأنه يجذب انتباه الأطفال من سن سنتين تقريباً ويقضي الأطفال فترة طويلة في مشاهدته من ناحية، واحتل مكان باقي وسائل الإعلام من ناحية أخرى؛ لأنه يخاطب حاستين من الحواس: وهما حاسة البصر، وحاسة السمع، ومن المعروف أن الوسيلة الإيضاحية التي تعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل يكون أثرها التعليمي أكثر جدوى وأكثر عمقاً ودواماً من الوسيلة التي تعتمد على حاسة واحدة فقط.

وعندما يجمع التليفزيون بين الصوت والصورة فهذا يعتبر خلاصة إمكانات الراديو والسينما حيث يضيف التليفزيون إلى سحر الصوت إغراء الصورة المتحركة حيث تساعد الصورة عموماً وحركات يدي المذيع وتعبيرات وجهه في توصيل الرسالة الإعلامية وتكملتها، وتعتبر أولى العناصر الرئيسية المكونة للبرامج التليفزيونية؛ لذلك يفوق تأثير التليفزيون كل وسائل الاتصال الأخرى (العبد، 1989).

والتليفزيون وسيلة شيقة للتسلية والمتعة للأطفال، وعلى الرغم من أنه جهاز كهربائي فإنه سهل الاستخدام، فالطفل الذي يبلغ من العمر ثلاثة أعوام يستطيع أن يجعله يعمل، ثم يجلس ليشاهده دون مساعدة من أحد (مختار، 1422هـ).

وللتليفزيون قدرات كبيرة تجعله في مقدمة مصادر الاتصال بالأطفال، ويقضي الأطفال فترات غير قصيرة في التطلع إلى شاشته، حيث يعتمد التليفزيون على العناصر السمعية والبصرية بالإضافة إلى سهولة التعرض له، حتى بالنسبة إلى الأطفال الصغار الذين لم يصلوا إلى مستوى تعلم القراءة، كما أن لديه القدرة على عرض المشاهد الواقعية والخيالية.

وقد اتسعت قدرات التليفزيون على نقل الثقافة حتى إلى الأطفال الصم، لذا تقدم بعض قنوات التليفزيون برامج خاصة لهؤلاء الأطفال، اعتماداً على حركات شفاه المتحدثين، ووجوههم، وحركاتهم، وإشاراتهم، مع الاستعانة بالكلمات، كي لا يجد المشاهدون (غير الصم) في ذلك ما يدعوهم إلى الملل عند مشاهدتهم هذه البرامج (فرماوي، وحسن، 1992).

خصائص التليفزيون:

يعتبر التليفزيون وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الجماهيري، ولقد كان اختراعه ثورة في حياة الإنسان، وينفرد التليفزيون بمميزات عديدة لا تجتمع لغيره من وسائل الإعلام الأخرى المعروفة. فهو ينقل المشاهد إلى عالم من المتعة والثقافة والمعرفة دون الحاجة إلى أية استعدادات خاصة أو مواعيد محددة، كما هو الحال بالنسبة للسينما والمسرح.

ويتفوق التليفزيون على كل من السينما والمسرح في كونه وسيلة منزلية بالدرجة الأولى لا تتطلب مشقة الانتقال أو دفع النقود، كما أن التليفزيون ينقل الأفلام السينمائية والعروض المسرحية للمشاهد وهو في منزله لم يبرح مكانه (ذكري،1988).

ويمكن إيجاز أهم خصائص التليفزيون فيما يلي (العيسوي، 1979):

1. إمكانية نقل الأحداث ساعة وقوعها.
2. يمكنه نقل كثير من الجوانب الثقافية للشباب دون أن يتكبد المشاهدون أي عناء.
3. يمكنه نقل خبرات الأشخاص ذوي المواهب والتخصصات النادرة بإلقاء المحاضرات أو اللقاء بهم وعرض البرامج المتنوعة.
4. يمكنه نقل الخبرات الصعبة والمثيرة إلى المشاهدين، كالحياة في أعماق البحار والمحيطات أو فوق سطح القمر.
5. يعتبر التليفزيون من بين وسائل الاتصال الجماهيرية التي تحمل رسائل إلى ملايين البشر مرة واحدة.

دور الأسرة في علاقة الطفل بالتليفزيون:

تعتبر الأسرة عاملاً مهما وأساسياً في تعامل الطفل مع التليفزيون، حيث إن الأطفال الذين يتركون بلا إشراف أو توجيه سوف يتوجهون إلى التليفزيون لما يتمتع به من خصائص جذب وإغراء. وطالما ترك الآباء والأمهات أطفالهم أمام التليفزيون، سواء كانوا يقصدون ذلك أم لا يقصدونه، فإن الأطفال سوف يتأثرون به، وتصبح مشاهدة التليفزيون عادة سريعة التمكن من الأطفال. بالإضافة إلى ذلك فإن تحكم التليفزيون في أوقات الأطفال يعد من الأمور المخيفة فعلاً، وبصرف النظر عن جوده البرامج ومحتواها، فإن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة ست ساعات في اليوم، أو حتى ثلاث ساعات حرموا من حياة الطفولة العادية، ولو سلمنا بأن جميع البرامج التي يشاهدها الطفل هي برامج تستحق المشاهدة ومهمة، وتساعد على النمو العقلي للطفل، وتعمل على توسيع آفاقه، فإنه يجب القول بأن طريقة المشاهدة المستمرة وبدون انقطاع للبرامج هي العدو الأول للأطفال. ومن ثَمّ فإن من الواجب أن تتم مشاهدة التليفزيون بطريقة جيدة، وإذا كان الأطفال مسموحاً لهم

بمشاهدة التليفزيون فهنا يجب توجيههم نحو مشاهدة بعض البرامج وليس كل البرامج، وبناءً على ذلك فإن أفضل البرامج التي ينبغي أن يشاهدها الأطفال تقع مسؤوليتها على عاتق الآباء والأمهات بالدرجة الأولى.

إن طريقة تعامل الآباء والأمهات مع التليفزيون تؤثر في الطفل، فإذا كان الآباء والأمهات يشاهدون برامج تليفزيونية متوسطة ومعتدلة، ويسمحون لأبنائهم بمشاهدتها، فإنهم في نفس الوقت يؤكدون على معنى التوسط والاعتدال في شخصيات أطفالهم، كما أن مساعدة الأطفال في تعليمهم المشاهدة التي ينتقون فيها ما يشاهدون، ويميزون في ذلك بين الطيب والرديء، يساعدهم على أن يتعلموا كيف يشاهدون قدراً أقل من برامج التليفزيون، وعلى أن يروا الأشياء بعمق أكثر وتحديد الوقت الكافي من مشاهدة الأطفال للتليفزيون بشكل قاطع يعتمد على استكشاف المقدار الجيد من البرامج التليفزيونية التي قد يسمح للأطفال بمشاهدتها (القايدي، 1425).

وتزداد أهمية الأسرة ودورها في علاقة الطفل بالبرامج التليفزيونية في العصر الحاضر الذي تميز بانتشار القنوات الفضائية القادمة من جميع أنحاء العالم، وأصبح لزاماً عليها القيام بتحصين أطفالها بالمنهج الإسلامي فكراً وقولاً وعملاً، وترسيخ المبادئ والقيم الأخلاقية، وتربيتهم تربية ذاتية، وتوعيتهم بخطورة وسلبية ما تتضمنه بعض البرامج المرئية وخاصة الأجنبية.

إيجابيات التليفزيون:

إن التليفزيون يؤثر إيجابياً على الأطفال فهو عامل تثقيف وتعليم وتنمية خبرة لهم، يساعد على نمو عقولهم وتفتحها، فهو يقتحم مجالات جديدة من المعارف بصورة مبكرة، وهو وسيلة للترفيه ينقلهم إلى أماكن مختلفة من العالم دون أعباء أو تكاليف تذكر، وهو تقنية تربوية تعليمية مهمة تهدف لزيادة المعرفة وكسب العادات الحسنة والفضائل الحميدة، والاتجاهات السليمة، وإن كان مرور هذه المواقف سريعاً مما يضعف تعلمها وآثارها.

ومن الآثار الإيجابية للتليفزيون على الأطفال ما يلي (محسن، 1417هـ):

1. إن التليفزيون يثير خيال الطفل، ويفتح أمامه آفاق جديدة بما يقدمه من صور وموسيقاً وألوان زاهية براقة.
2. يعد التليفزيون مصدراً من مصادر المعرفة للطفل من خلال البرامج المتنوعة.
3. يستخدم التليفزيون في التعليم، حيث يبث التليفزيون برامج تعليمية بالصور والشرح المتكامل حتى تعلق في ذهن الطفل، وكذلك أحياناً يتم وضع المناهج التعليمية في إطار درامي حتى تكون أكثر رسوخاً في ذهن الطفل.
4. يصقل التليفزيون وجدان الطفل وأحاسيسه من خلال جو الترفيه والتسلية.
5. التليفزيون يشبع حاجات الطفل بحب الاستطلاع.
6. يزود التليفزيون الطفل بخبرات ومهارات في معظم جوانب الحياة.

سلبيات التليفزيون:

للتليفزيون آثار سلبية ، فهو يعدل نظام الأسرة وأنشطتها، وقد يحل محل أنشطة مهمة، وقد يشغل الأطفال عن الدراسة والقراءة والتحصيل، ويمكن أن يكون وسيلة للركون إلى الخيال هرباً من الواقع ومشكلاته، ويعد التليفزيون سلاحاً ذا حدين، فرغم الإيجابيات الكثيرة له كوسيلة إعلامية، إلا أن سلبياته كثيرة، ويمكن أن نجمل سلبيات التليفزيون فيما يلي (العنيبسى، 1403هـ):

1. التليفزيون هبط بمستوى الذوق والخلق لدى الأطفال.
2. التليفزيون يعمل على الإقلال من معرفة الطفل، ويأخذ من وقت القراءة.
3. التليفزيون يساعد على انتشار العنف بين الأطفال، ويعمل على نشر الجريمة.
4. التليفزيون يجعل الطفل شخصية سلبية، ويخلق لدية البلادة واللامبالاة، ونوعاً من التراخي في الإحساس، والقيام بأعمال عنيفة بعيده عن الشفقة والرحمة (الشاش، 2006).
5. التليفزيون يأخذ الطفل من أحضان أمه، ولا يوفر وقتاً للعلاقات العائلية، ومن ثَمّ يساعد على غربة الطفل في بيته وشعوره بالانعزال.
6. التليفزيون هبط بالقيم والمبادئ.. ويمجد القيم الهابطة، ويقدم صوراً مشوهة للعلاقات الإنسانية.. مما يشوه فكرة الطفل عن مجتمعه.

حاجات الأطفال التي يحققها لهم التليفزيون:

إن الطفل من الناحية الجسمية يكون في حالة نمو مستمر منتقلاً من مرحلة إلى أخرى، ومن الناحية الاجتماعية يكون في حالة إعداد وتكيف مع البيئة التي يعيش فيها، أي: أنه يكون في فترة تكيف اجتماعي، فهو يتعلم المهارات المختلفة مثل: القراءة والكتابة والحساب ومناقشة المحيطين به إلى غير ذلك من أوجه النشاط التي سيكون في حاجة إليها عندما يبلغ سن الكبار، وهو يتعرف على المبادئ والقيم والعادات والتقاليد التي يتميز بها مجتمعه، كما يكتسب بعض المعرفة عن نظم وتاريخ الحضارة التي يعاصرها، وأنماط السلوك التي سيتخذها مثلاً له في مستقبل حياته.. إذ إنه يقترب من مرحلة النمو التي تسمح له أن يحرر من رقابة الوالدين ليدخل في مجتمع الرفاق والأصدقاء. ومن الناحية النفسية يحاول أن يخرج من نطاق مجتمعه ليكون لنفسه صورة منفصلة تعبر عن شخصيته الفردية (مينا، 1988).

إن الطفل في مراحل نموه المختلفة يسعى إلى تحقيق أهداف عديدة منها ما يلي:

مكانه في هذا العالم الكبير، المهنة التي سيلتحق بها في مستقبل حياته، المبادئ الأخلاقية والسياسية التي سيعتنقها، الأصدقاء الذين سيقترن بهم، شريكة الحياة التي سيرتبط بها في المستقبل... إلخ، ومثل هذه الخبرات تكون في غاية الصعوبة على نفس الطفل، وغالباً ما تسبب له صدمات شديدة ومخاوف تشعره أحياناً بالفشل إذا لم يلق رعاية وتوجيهاً من

والديه ومعلمه.

وهنا يجد الطفل في مشاهدة التليفزيون ما يعينه على الهروب من الصراع النفسي والشعور بالفشل الذي يشعر به في عالم الواقع، إذ ربما يجد في برامجه بعض العون في فكرة صائبة لحل مشاكله. وقد ينصرف الطفل إلى التليفزيون لمجرد المتعة والترفيه أسوة بباقي أفراد الأسرة حتى إنه يشاهد برامج الكبار.

وعندما يحاول الطفل أن يشبع رغباته النفسية عن طريق برامج التليفزيون، ويجد لونين من المادة الفنية لكل منهما قيمة تختلف عن الأخرى وتستثير فيه نوعاً من السلوك، ويقسم علماء الإعلام المادة الفنية إلى اتجاهين لكل منهما طابع خاص يميزه عن الآخر:

البرامج التي تتجه إلى الخيال:

تشجع المشاهد على أن يتخلص من مشاكله في عالم الواقع، ومن آثار هذه البرامج أنها تخلص الطفل ولو وقتياً من الشعور بالخطر والقلق، وغالباً ما تساعده على تحقيق رغباته وتشعره بالسعادة.

البرامج التي تتصل بالواقع:

فمن خواصها أنها تجعل المشاهد على اتصال دائم بمشاكل الحياة الواقعية وتحثه على الانتباه وبذل الجهد والإيجابية في التفكير والسلوك، وتزيد حصيلته من المعرفة.

التليفزيون رؤية نفسية:

يعتبر التليفزيون من عوامل توحيد الأفكار والمشاعر بين الناس، ويوحد من عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم، وذلك لأن الآلاف منهم يشاهدون نفس المؤثرات، فهو يساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير والثقافة والأذواق الجمالية، وهو بذلك أداة من أدوات التثقيف الجماهيري وتكوين الذوق الفني والحضاري (جاد، 1987).

كما يعتبر التليفزيون قليل الأهمية إذا ما قارنته بالمؤثرات الأخرى التي تنبع من المنزل الذي تربى فيه الطفل، والجماعة التي يختلط بها، والمدرسة، والاتجاه الديني، والثقافة بوجه عام، فلا يمكن أن نشير إلى عمل سلوكي منسوب للطفل، ونقول بأنه يرجع إلى التليفزيون، لكن لا ينبغي أن نغفل مدى تأثير التليفزيون في إحداث هذا العمل السلوكي، أو يساعد على بلورته، أو إخراجه على صورة ما، فالطفل وهو يشاهد المسلسلات أو الأفلام يتقمص الشخصيات، ويعيش تصرفاتهم كمثل عليا له، وكأبطال يعجب بهم وينزع إلى تقليدهم. والطفل الذي يشاهد أحد البرامج يتعلم فيه كيف ترتكب جريمة كالسرقة مثلاً، ثم يقوم بتنفيذها كمقلد لهذا السلوك المنحرف، هذا الطفل بلا شك يختلف عن غيره من الأطفال في خواص مهمة، وهذه الفروق تنبع من خبرات وصفات متأصلة في الطفل، قد ترجع إلى نشأته الأولى في الأسرة، غير ما اكتسبه من التليفزيون، وإن كان له دور كبير في إبرازها (مينا، 1989).

ويؤكد المتخصصون في ميدان علم النفس أن الأطفال هم الأكثر تأثيراً من الكبار ببرامج

التليفزيون، ويعزون ذلك إلى عاملين هما (ذكري،1988):

الأول: أن الأطفال يستمدون كثيراً من خبراتهم عن الحياة من برامج التليفزيون، وإن خبراتهم الواقعية الواعية محدودة، لذلك يتقبلون ما يعرضه التليفزيون دون مناقشة بصيرة أو تفكير ناقد، فتكون درجة امتصاصهم للمادة المعروضة أكبر ما يمكن في مرحلة الطفولة.

الثاني: كلما صغر سن الفرد وقلت خبرته صعب عليه الفصل بين الواقع الحقيقي الذي يعيش فيه، والواقع الخيالي الذي تقوم عليه البرامج، ولذلك غالباً ما يعتقد أن ما يعرضه التليفزيون حقيقة واقعية.

وكلما زاد سن الطفل وذكاؤه كان أكثر نقداً وتذوقاً لبرامج التليفزيون، ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن الأثر العاطفي للتليفزيون يبدو واضحاً بالنسبة للطفل الذي يحسن الاختيار عن الطفل الذي لا يحسنه.

ولا شك أن التليفزيون يلعب دوراً محورياً مهماً في صياغة سلوك الطفل وتنمية قدراته ومداركه، وهو يخلق الاهتمامات لديه ويثري من خياله وتصوراته، ولأنه في التليفزيون تشترك الصورة والصوت والنغم والحركة في توصيل المعلومات، ويشترك سمع المشاهد وبصره في التقاط هذه المعلومات فمن ثم يتضاعف اكتساب الطفل للمعارف والمفاهيم، وكذلك يكتسب اللغة بألفاظها المتعددة وتراكيبها المختلفة، إذ أن العين البشرية قادرة على التقاط قدر كبير من المعلومات، بحيث يعجز الدماغ أحياناً عن هضمها وتحليلها كلها (مختار، 1422هـ).

ومن الثابت أن التليفزيون يترك انطباعات في أحاسيس الطفل ومشاعره، إذ تؤثر مشاهد العنف التي يراها الطفل على شاشة التليفزيون تأثيراً عميقاً ممتداً في نفسه، والقصص التي تدور حول حوادث الخطف بالذات عادة ما تثير انفعالات الخوف والهياج التي تضطرم في نفس الطفل لأيام قد تطول مسببه له الأحلام المزعجة والمخاوف.

إن العنف يزيد من معدل الخوف لدى الطفل وفقدانه الثقة بنفسه، وبمن حوله ، ويخلق لديه رد فعل مباشراً عنيفاً لحماية نفسه من أي سلوك غير مقصود، كما يقدم قدوات سيئة، وبالتالي يكون مصدر تقليد للطفل، ويكون ثقافة يكون فيها السلوك غير السوي أساساً في تعامل البشر، كما يكون أيضاً لدى الطفل حالة من تبلد المشاعر واللامبالاة خاصة إذا عرض العنف بطريقة عشوائية متكررة (سليم، 2006).

ويرى كثير من الآباء أن برامج العنف تُعلم الأولاد العدوان، ويتمسكون بهذا الرأي عندما يرون أطفالهم يحاولون تقليد بعض الشخصيات في ملابسها وفى حركاتها في أثناء المعارك والمبارزة، وعندما يلحظون بعد اقتناء أجهزة التليفزيون أن بعض الأطفال أصبحوا يناقشون احتمال الإضرار بغيرهم بالكيفية التي رأوها في مشاهد العنف (سيد، 1993).

وهناك دراسة أكدت أن 70 % من الآباء يلقون باللوم في سلوك العنف لدى أبنائهم على قصص الجريمة في التليفزيون والإذاعة فهي تدفع الطفل الذي ليس لديه ميل للعنف إلى التجربة والمحاكاة وتزيد الميل للعدوان عند الطفل العنيف بطبعه، كما تبين أن الأطفال الذين

يقضون وقتاً طويلاً في مشاهدة برامج العنف في التليفزيون لديهم ميول عدوانية بنسبة أكبر من الأطفال الذين لا يشاهدون العنف فيه (الشاش، 2006).

ويفسر علم النفس السلوك العدواني من خلال بعض نظرياته، مثل نظرية التحليل النفسي التي تنظر للسلوك العدواني على أنه غريزة فطرية، ويقابله غريزة أخرى هي غريزة الجنس أو الحياة، وتعد مسؤولة عن مظاهر الحب والبناء والتقدم في حياة الإنسان وهى الجانب المقابل للسلوك العدواني (داغستاني، 1432هـ).

ومن العوامل والأسباب التي اتفقت عليها النظريات المفسرة للسلوك العدواني التقليد حيث يظهر السلوك العدواني في بعض الأحيان من خلال التقليد حيث يقوم الأطفال بتقليد النماذج السلوكية التي يرونها بخاصة في أفلام الكارتون التي تقدم للأطفال، أو الأفلام التي يفضلها الأطفال وبخاصة أبطال هذه الأفلام، إذا كانت تقوم بسلوكيات عدوانية، فيقوم الطفل بتقليد هذا السلوك ومحاكاته (داغستاني، 1432هـ).

وإذا نظرنا إلى الجانب المضيء من إمكانات التليفزيون تكشفت لنا قدرته على مساعدة الطفل على اكتشاف مشاعره وأحاسيسه وآرائه وأفكاره تجاه الآخرين وإدراك أن ما قد ينتابه من مشاعر السخط والكراهية نحوهم أحياناً إن هو إلا أمر طبيعي ومشترك لا يستحق الانزعاج الذي يحدث للطفل نتيجة له، ومعرفة الطفل أن ما يدور في نفسه من مشاعر طيبة وغير طيبة إن هي إلا مشاعر مشتركة مع غيره من الأطفال يساعده على انتزاع نفسه من النظرة الذاتية الغالبة عليه، وتحقيق فريد من التوافق مع نفسه ومع الآخرين.

ويمتد دور التليفزيون في نمو الطفل الانفعالي إلى تعريفه بما هو جيد، وما هو رديء، وما هو صحيح، وما هو خاطئ من ألوان السلوك الاجتماعي، ومن ثم تنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها تتفق والقيم المقبولة في المجتمع الذي يعيش فيه (جاد، 2004).

وللتليفزيون تأثير فعال وحيوي في السلوك العدواني، وأن فاعلية هذا التأثير تزداد عندما يكون لدى الطفل الاستعداد النفسي لمثل هذه التأثيرات، وعندما تساعد ظروف الأسرة على ذلك، وعندما يكون الطفل في مرحلة عمرية تساعد على حدوث مثل هذه التأثيرات ويرى نوبل "Nobel" أن الكثير من المشكلات السلوكية سواء أكانت في المنزل أم في المدرسة تعتمد على أنواع السلوك التي يشاهدها الطفل على شاشة التليفزيون.

وفى دراسة أجراها كل من «ستين» و«فريديريك» على مجموعة من أطفال الحضانة لمدة ثلاثة أسابيع، حيث جعلا الأطفال يشاهدون ثلاثة أنواع من البرامج التليفزيونية: برامج عدوانية، برامج محايدة، برامج لتعليم القيم والعادات المقبولة اجتماعياً، وقد تم تقسيم الأطفال إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة شاهدت نوعاً واحداً من الأفلام، وبعد مرور الأسابيع الثلاثة المشاهدة، فحص الباحثان درجة العدوانية عند كل مجموعة من المجموعات الثلاث فاتضح أن المجموعة التي شاهدت البرامج العدوانية كانت أكثر عدوانية من هؤلاء الذين رأوا البرامج المحايدة والبرامج التعليمية (مختار، 1422هـ).

إن لبرامج العنف والإجرام تأثيراً سيئاً في شخصية الطفل؛ ذلك لأن الطفل شغف بأن يقلد غيره، فيحاول التشبه بالشخصيات التي تقوم بأعمال إجرامية، كما أن عالم النعيم

الخيالي الذي ترسمه الأفلام لحياة المجرمين الخاصة، تدفع الأطفال إلى ممارسة الإجرام، والأساليب التي يتبعها المجرمون والمنحرفون في تنفيذ أعمالهم، تشكل مفاتيح للأطفال لأن يكتسبوا طرقاً في تنفيذ انحرافهم، لا يمكن أن تخطر في أذهانهم لو لم تتهيأ الفرصة لمشاهدتها (فرماوي، وحسن، 1992).

إن كثير من برامج التليفزيون تعرض مشاهد العنف والقسوة والسلوك المنحرف بدرجة خطيرة تؤكد ما يقال بأن المواجهة الأولى للطفل مع العنف والسلوك العدواني تحدث على شاشة التليفزيون، ويرى كثير من علماء النفس أنه توجد علاقة ارتباطيه بين زيادة جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك العدواني.

التليفزيون.. رؤية تربوية:

الطفل كائن حي يتدرب في مرحلة التعليم ليكون إنساناً، فهو مخلوق بشري صغير يتدرب اجتماعياً على يد من هم أكبر منه حتى يأخذ مكانه اللائق في المجتمع في مستقبل حياته، فالطفل في بداية حياته يكون كالصفحة البيضاء ويتلقى الخبرات المختلفة من البيئة المحيطة به، وتكون له قدرة ضخمة على التعليم طوال سنوات عديدة (الفقي، 1971).

والأطفال في أعلى مستويات الذكاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من المفردات الجديدة تعادل ما يمكن تحصيله في سنه بالنسبة لنظائرهم من الأطفال في المجتمعات التي لم يدخلها التليفزيون، كما أن طول المدة في مشاهدة البرامج تساعد على زيادة حصيلة الطفل في المفردات، ولكن عندما يصل الطفل إلى نهاية المرحلة الابتدائية، فإن معظم أو كل هذا السبق ينتهي، ومن ذلك الوقت تزيد معلومات الطفل الذي لديه التليفزيون في الموضوعات المتصلة بالبرامج التي تنال إعجابه، وتقل معرفته بغيرها من البرامج، وهذا يعنى أن التليفزيون يعمل على تربية جيل له معرفة بالخبرات الخيالية في الترفيه والترويح عن النفس، وهى الوظيفة الكبرى للتليفزيون، بينما لا يهتم بإعطاء قسطٍ من الخبرات الواقعية (مينا، 1989).

ومن الحقائق المسلم بها أن مسؤولية تربية النشء تربية سليمة هي مسؤولية مشتركة بين أجهزة الإعلام والأسرة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة من دور عبادة متمثلة في المسجد والكنسية ومن أندية رياضية ومراكز للشباب.

وتربية الطفل تربية سليمة متوازنة ومتكاملة تستلزم القيام بصيغ متعددة من التعاون والتنسيق المبرمج بين التليفزيون والأسرة والمدرسة في آن واحد.

والطفل يتعلم وهو جالس أمام التليفزيون من أجل الترفيه، وأنه يعي في ذاكرته المعرفة التي يكتسبها دون أن يكون ذلك مصدره من البداية فجميع استعمالات الطفل المبكرة للتليفزيون، هي من أجل الترفيه والمتعة فحسب (مينا، 1988).

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أن الأطفال النابهين يتعلمون من التليفزيون أكثر من غيرهم ممن دونهم في الذكاء، كما أنهم يكتسبون معرفة أكثر من غيرهم من أي برنامج يشاهدونه، وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يجد التليفزيون منافسة قوية من الدراسة المنتظمة التي تستأثر بانتباه الطفل واهتمامه، ولكنه يتجه إلى التليفزيون ليشاهد البرامج

التي تناسبه، ويتعلم منها الشيء الذي يعتقد بفاعليته وفائدته له (ذكري، 1989).

ويعتبر دور التليفزيون مهماً بالنسبة لتربية النشء خاصة في المراحل التعليمية الأولى، حيث يعتبر دور التليفزيون في التعليم بالنسبة لدور الحضانة دوراً مهماً من الناحية التربوية، إذ أن التعليم بالتليفزيون يغرس في الطفل منذ نعومة أظفاره المبادئ والقيم والمثل بل يعتبر دائرة معارف كاملة للطفل عن طريقه يستطيع معرفة الكثير مما يدور حوله في الحياة (مينا، 1988).

ويمكن أن نلخص إمكانات التليفزيون ودوره كوسيلة تربوية وثقافية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة فيما يلي (جاد، 2004):

1. اعتماده على حاستي السمع والبصر وهما أهم الحواس التي تعين الإنسان على استقبال المعرفة، مما يؤدي إلى تعزيز كل حاسة منهما للأخرى.
2. اعتماده على المرئيات في المقام الأول، ومن ثم قدرته على تنمية خبرة الطفل والتأثير فيه على الرغم من قلة حصيلته اللغوية، وعدم إلمامه بالقراءة .
3. تقريب الواقع إلى ذهن الطفل بالاستعانة بمعظم أبعاد هذا الواقع من شكل وحجم ولون وصورة وحركة.. إلخ كبديل عن الخبرة المباشرة التي قد يصعب توفيرها في البيئة الطبيعية للطفل.
4. الاستعانة بالعديد من المؤثرات البصرية والسمعية التي توضح المعاني التي يسوقها وتزيد من قدراته على التأثير والإقناع.
5. توافره بكل بيت وعدم وجود أية عقبات مادية تحول دون مشاهدته والاستعانة به في الساعات المناسبة لذلك.
6. الحاجة الشديدة إلى الاستعانة به لإغناء بيئة الطفل الثقافية والنهوض بها.
7. قدرته على التأثير على جميع أفراد الأسرة، وإمكانية تدعيمه لدور الأسرة في تنشئة الطفل.

ويبدو أن قيمة التليفزيون وإمكانياته التعليمية والتربوية تأتى أساساً من أن الإنسان يحصل على 88 % من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر، ومن هذه النسبة يحصل المرء على 75 % تقريباً عن طريق الإبصار وحده، بينما 13 % عن طريق السمع. هذا إذا أضفنا إلى ذلك أن التليفزيون يمكن أن يصل إلى الملايين في وقت واحد، فإننا ندرك الثورة الهائلة التي يمكن أن يحدثها التليفزيون في مجال المعرفة والثقافة والتربية وتأثيره الملموس في حياة الناس بمختلف فئات عمرهم أطفالاً وشباباً ورجالاً (ذكري، 1989).

ولكي يحقق التليفزيون الخدمة التربوية في المساهمة في تنشئة الأطفال يجب أن تهتم برامج الأطفال التليفزيونية بما يلي (مينا، 1989):

1. الاهتمام بالبرامج الهادفة خاصة برامج التوعية وتنقية مضمونها من جميع أشكال السلوك غير السوي والبعيد عن الواقع العملي.
2. المساهمة في إعادة بناء الإنسان وتنمية الوجدان الإنساني والانتماء الوطني والابتعاد عن ملاحقة التغيرات المادية وسياقها المجنون وصراعها اللا إنساني

وضرورة إبعاد الأطفال عن مشاهدة أفلام العنف في التليفزيون.

3. العمل على إحياء القيم المعنوية والأخلاقية والسلوكية المرغوب فيها.
4. توجيه الوالدين نحو البرامج الهادفة والملائمة للأبناء في كل مرحلة نمو، من النواحي الثقافية والتربوية.
5. إعادة النظر في فلسفة الأغاني، وذلك للارتقاء بمستوى المادة المقدمة لتأثيرها على الذوق العام وتربية النشء.

لقد أصبح التليفزيون داخل كل منزل وكل مؤسسه تعليمية، وعلى الرغم من ذلك لم يستخدم في مجالات التعليم بدرجه كبيرة، وإذا استخدم فلم يراع في برامجه إلى حد كبير الدقة العلمية والتربوية والتكنولوجية، ولكن استخدامه في مجالات الإعلام والإعلان والترفية والثقافة.. يفوق بكثير استخدامه في مجالات التعليم والتربية.

التوصيات:

- للتنشئة الأسرية دور مهم في تشكيل سلوك الأطفال وتحصينهم ضد ما يشوب المؤثرات الخارجية من قصور أو تردي، فملقى على عاتق الأسرة وضع ضوابط ومعايير لمشاهدة الأطفال لنوعية الأفلام والبرامج التي تقدم العنف والجريمة في إطار مغلف من الإثارة والإبهار مما يجذب الأطفال، وبالأخص المستورد منها.
- أن تقدم معايير وتوجيهات أخلاقية يمكن للأطفال بواسطتها أن يقيموا أي عروض تليفزيونية عنيفة يرونها على الشاشة الصغيرة، وأن يوضح لهم الآباء أن ما يشاهدونه من عنف هو مجرد تسلية خيالية لا تمثل أنموذجاً صادقاً لعالم الواقع.
- ضرورة إنتاج برامج تثقيفية وتربوية يتعاون على إنتاجها أساتذة علم النفس ورجال التربية والدين والفكر وغيرهم، بالتعاون مع المؤسسات والهيئات المهتمة بالطفل في هذا المجال، حتى ينعكس هذا التعاون بتحسين الأداء بالتلفزيون العربي، والنهوض به ضد موجة العنف التي تتخلل المواد الفيلمية الأجنبية المبثوثة عبر الأقمار الصناعية سواء أكان بالطرق المباشرة أم غير المباشرة.
- أن تراعي برامج الأطفال التليفزيونية طبيعة الأطفال في مراحل نموهم المختلفة، والسمات العامة التي تميز الطفولة، وأن يجد الطفل في كل فقرة ما يشد انتباهه، وما يدعوه إلى متابعة الفقرة التالية.
- يجب ألا يترك الطفل وحده لفترة طويلة أمام التليفزيون، ولتكن مشاهدته على فترات أو للبرامج المخصصة للأطفال، أو فقرة الإعلانات التي يحبها الصغير، مع إعطائه فرصة لكي يلعب ويتحرك وينشط تفكيره وجسمه في أشياء أخرى.
- أن يعرض المسؤولون البرامج التي تناسب الصغار والكبار معاً في فتره المساء المبكر، ويؤخروا البرامج التي تناسب الكبار فقط إلى ما بعد العاشرة مساءً.
- إتاحة الفرصة للأطفال من ذوى الاحتياجات الخاصة للمشاركة في مجال إعداد وتقديم برامج الأطفال حتى يتمكنوا من نقل همومهم وطموحاتهم كغيرهم من الأطفال.
- إقامة ندوات وبرامج لأخصائيين إعلاميين وتربويين، لتوعية الأسرة وتوجيهها للحرص على ما يقدم للأطفال ومحاورتهم في أثناء فتره المشاهدة.

المراجع

إبراهيم، أميره محمد (1989). دور برامج التليفزيون في تنشيط العلوم للأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام.

جاد، سهير (1987). البرامج التليفزيونية والإعلام الثقافي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جاد، منى محمد علي (2004). التربية البيئية في الطفولة المبكرة وتطبيقاتها، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

الحديدي، منى سعيد (1986). برامج الأطفال في التليفزيون بين الحاضر والمستقبل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

داغستاني، بلقيس بنت إسماعيل (1432هـ). مشكلات الطفولة التشخيص والعلاج، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

ذكري، طلعت (1988). أسس الحفاظ على كيان الأسرة، القاهرة، مكتبة المحبة.

ذكري، طلعت (1989). التنشئة الأسرية وأثرها في حياة الأطفال، القاهرة، مكتبة المحبة.

سيد، فتح الباب عبد الحليم (1993). أنت والتليفزيون، سلسلة سفير التربوية (9)، القاهرة، شركة سفير.

سليم، مريم (2006). التليفزيون.. كيف نقي أطفالنا من أضراره، مجلة العربي، العدد (566)، الكويت، وزارة الإعلام.

الشاش، هداية الله أحمد (2006). موسوعة التربية العملية للطفل، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

العبد، عاطف عدلي (1989). كيف يستفيد طفلك من التليفزيون، القاهرة، مكتبة المحبة.

العنيبسي، حسن على محمد (1403هـ). التليفزيون وأثره في سلوك أطفالنا، مجلة الأزهر، السنة (55)، العدد (9)، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية.

العيسوي، عبد الرحمن (1979). الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فرماوي، فرماوي محمد، وحسن، عصام أحمد (1992). كيف تستثمر وقت طفلك، سلسلة سفير التربوية، العدد (3)، القاهرة، شركة سفير.

الفقي، حامد عبد العزيز (1971). دراسات في سيكولوجية النمو، القاهرة، دار الكتب.

القايدي، عيسى محمد (1425هـ). برامج الأطفال التليفزيونية، مجلة المنهل، السنة (70)، المجلد (66)، العدد (593). المملكة العربية السعودية، دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة.

محسن، ميرهان (1417هـ). التليفزيون وتأثيره على الطفل، مجلة منار الإسلام، السنة (22)، العدد (5)، الإمارات العربية المتحدة، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف.

مختار، وفيق صفوت (1422هـ). أطفالنا هل هم ضحايا العنف التليفزيوني؟، مجلة منار الإسلام، السنة (27)، العدد (9)، الإمارات العربية المتحدة، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف.

مينا، طلعت ذكري (1988). التليفزيون في حياة أطفالنا، القاهرة، مكتبة المحبة.

مينا، طلعت ذكري (1989). التليفزيون والشباب، القاهرة، مكتبة المحبة.

صدر عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية كتاب:

مائة كتاب للأطفال جديرة بالقراءة
دليل الهيئة العالمية لكتب الأطفال - فرع الكويت

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

&

KUBBY

والكتاب نتاج قراءات فاحصة للعديد من الإنتاج الأدبي للطفل، تمت قراءتها ووضع المراحل العمرية المناسبة لها وذلك وفق أسس علمية.

والكتاب أيضاً يمثل نشاط الهيئة العالمية لكتب الأطفال - فرع الكويت (KUBBY)، وذلك خدمة للأطفال وأولياء أمورهم والمعلمين.